مشاهداتُ بديع الزَّمان النُّورْسِي

ديوانُ شِعْر



فريد الأنصاري

مشاهدات بديع الزمان النورسي
ديوان شعر
فريد الأنصاري

ومـاذا يمكـن للشِّـعْر أن يكون إن لم يكن مشاهدة..؟

وماذا يمكن للعين أن تفعل – عند تدفق غدران النور – إلا أن تَشْهَدَ وتُشَاهد؟

(...) وما بين مكناسة الزيتون ومجمع البحرين في السودان، وما بين مكة والمدينة، إلى بلاد الأناضول وخـلجان استنبول؛ كنت ألهث خلف بوصلة المحبة أنى مرساها؟

.. حتى آخر أثرٍ لحوافر الفاتحين!

(...) وفي قمـة (اُتْشَامْلَجَا) بإستنبول، حيث كانـت له بقـية من شعاع، تُقَطِّرُ نَفْحَ الروح بشرايين الأشـجار.. كنـتُ أتسلق غصن حديقته العليا؛ حتى أشرفتُ على كل المدينة؛ فرأيت ما رأيت!.. ثم..

ثم كانت (مُشاهَداتُ بديعِ الزمان النُّورْسِي) !


مطبعة أنفو-برينت
Imp. Info-Print
Tél / Fax : 055 64.17.26 - Fès

الكتاب: مشاهدات بديع الزمان النورسي

المؤلف: فريد الأنصاري

الإيداع القانوني: 0465/ 2004

الطبعة الأولى: محرم: 1425 هـ/مارس 2004 م.

سحب: مطبعة أنفوبرانت، 12 شارع القادسية،

الليدو– فاس/المغرب. هاتف: 055.64.17.26

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى بلبل الأسحار والأقمار..

الذي وُلِدَ عن انفجار جبل (أرَارَات) بالأناضول!

وتعلّمَ التغريدَ فوق شجر الصنوبر، بجبل (تْجَام)!

ثم انطلق يُعلّم الناسَ منطقَ الطير!

ويسقيهم كؤوسَ النور، من أول دفقات الفجر..

إلى روح الأستاذ بديع الزمان سعيد النُّورْسِي..

ترحماً واستغفاراً..!

محْرَابُ المشاهَدات

(أنا الآن في موضع، على ذروة شجرة صنوبرٍ ضخمة عظيمة، منتصبة على قمة شاهقة من قمم جبل " تْجَــامْ " ! لقد استوحشتُ من الإنس، واستأنست بـــالوحوش..! (...) والآن أكتب إليكم ما ورد بالبال من خواطر على شجرة الصنوبر هذه!)

بديع الزمان النورسي/ المكتوبات: ٢٣

جَمالُ المشاهَدات

(واعلم: أن إكسير الإيمان إذا دخل في القلب صـــيّر الإنســـان جوهراً لائقاً للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزَفاً خالياً فانياً. إذِ الإيمانُ يَرى تحت القشر الفاني لُـــبّاً لطيفاً رصيناً. ويَرَى ما يُتَوَهَّمُ حَباباً مُشمساً زائلاً؛

ألماساً متنوراً. والكفرُ يَرى القشرَ لُبّاً فيتصلب فيه فقط! فـتنزل درجة الإنسان من الألماس إلى الزجاج، بل إلى الجَمْد، بل إلى الحَباب! هكذا شاهدتُ..!)

بديع الزمان النورسي/ المثنوي العربي: ١٥٨

شِعْرُ المشاهَدات

ومـاذا يمكـن للشِّـعْر أن يكون إن لم يكن مشاهدة..؟

وماذا يمكن للعين أن تفعل – عند تدفق غدران النور – إلا أن تَشْهَدَ وتُشَاهِد؟

ومـذ فتحتُ عيني على كثبان الرمال الساربة بـين وديان السراب، بواحة الجُرْف الحزين[1]، رأيت أثـراً لعابرٍ على الرمال.. فاتبعتُ سببا، وكانت رحلتي نحو منبع النور..

ولم أزل أسير الليالي القمراء في خلوة الفلوات تَشُـوقُني لحظـةُ تدفق الجَمَال بالأسحار، فلعلني أجده هناك!

أو لعلني أجد له مِنْ ثَمَّ سببا، فأتبع سببا!

ومـا بـين مكناسة الزيتون ومجمع البحرين في السـودان، ومـا بين مكة والمدينة، إلى بلاد الأناضول وخـلجان استنبول؛ كنت ألهث خلف بوصلة المحبة أنى مرساها؟

---

[1] الجرف: اسم قرية الشاعر بإقليم سجلماسة جنوب شرق المغرب.

حتى آخر أثَرٍ لحوافر الفاتحين!

كانــت طيور النورس تتردد ما بين البوسفور وبحر مرمرة، تبحث عن شيء ما؟

وكــان بديع الزمان النورسي يذرع الأرض ما بين شروق وغروب، وهو يلتقط لآلئ الأسرار كل ليلة بدرية!

قــيل لي: قــد مات سنة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وتلك كانت سنة ولادتي بالذات!

فهل معناه أن لا رجاء في اللقاء؟

وقيل لي: قد دفن بقرية أُورْفَة بتركيا، ثم نبشت الحكومــة قبره ليلا، ونقل إلى مكان مجهول! وقيل كان ذلــك مرتين! حتى انقطعت دونه أسباب الوصول! ثم مات الذين أتلفوه بِسِرِّهِم فضاعت الحقيقة – زعموا – إلى الأبد!

بَـيْدَ أني يـا سـادتي فوجئت به يوما بمكناسة الزيتون! لقد شاهدته يمشي نحو مدينة زرهون، شاخصا ببصــره نحــو السماء.. وكأنما يهم بمعانقة قمم الجبال الشــامخة! كنــت قريــبا منه جدا، لكني لم أستطع أن أقتحمه! ومشى فمشيت حتى اختفى بمسالك الزيتون!

ثم أؤكد لكم أني وجدته ذات مَطَرٍ ليلي – بعد ذلــك، في ســفر بعيد – بجزيرة سَرَوَاك بماليزيا! كان يصــلي بلــيل، بإحدى الغرف العليا من فندق بمدينة كُوتْشِــي!.. ثم ضاع مني فجأةً! ثم لست أدري كيف أحسست أنه عاد مرة أخرى إلى بلاد الأناضول. قلت: لعــلي ألقاه بها.. ولكن قيل لي: ربما رحل إلى حاضرة الغــرب الكــبرى، لــتلقي العلاج هناك. قيل: وكان العشرات من الكفار يُسْلمون على يديه!

وفي قمة (اِتْشَامْلَجَا) بإستنبول، حيث كانت له بقــية من شعاع، تُقَطِّرُ نَفْحَ الروح بشرايين الأشجار..

كنــــتُ أتسلق غصن حديقته العليا؛ حتى أشرفتُ على كل المدينة؛ فرأيت ما رأيت!.. ثم..

ثم كانت (مُشاهَداتُ بديعِ الزمان النُّورْسِي) !

وكتبه فريد الأنصاري بحاضرة استنبول (حي الفاتح)، لذوب الأصيل من يوم : ٢٦ جمادى الأولى: ١٤٢٤هـ/ (٢٦/٠٧/٢٠٠٣م)

المشاهدة الأولى

أَوَانٌ

إلى طالب النور: وَحْدَتْ الأَرْضَرُومي، في خلوته المتفردة أبداً!

(إِلَهِـــي! لِي مِنَ الزَّمَانِ آنٌ يَسيلُ في سَيْلٍ وَاسِعٍ سَرِيعِ الجَـــرَيانِ! وَلِي مِنَ المَكانِ مقدارُ قبرٍ! مَعَ عَلاقَتي بِسائِرِ الأمكِـــنَةِ وَالأزمِنَةِ. فَلا حَولَ لي عَنِ العَلاقَةِ بِهَا، وَلا قُوَّةَ!) النورسي/اللمعات: ٥١١

....

هو الأوَانُ آنْ !

لكنني لما وصلتُ لم أجد سوى الأسى..!

وشهقةٍ أخيرة من الصدى..

ترددتْ هنا من قبل أن يَصَّدَعَ الزمانْ!

وجدتُ جَرَّةً تكسرت على خرير الماء

فسال النور هاربا يا حسرتيَ!

واعتقل الأشياءَ كلّها عمى الألوان!

وهمت لاهثا بين الوجوه!

أبحث عن إشارة تدلني على الغدير

لعلني أطهر الجروح من أدرانها

وأملأ العينين من أمواجه بجفنة من نور

لعلني أرى منطقَ الطير في الأشجار

وأسمع الألوان كيف تنسج النشيد

يا سيدي!

فربما أجد ههناك ومضةً

أو أثراً لريشة قد لوَّنتْ فضاءَها بنغمٍ من دفقة الصباحْ

ولم تزل تذوب في أمواجها الأطيارُ والأمطار

وتشرب الغدرانُ من إشراقها

وتشهق الرياحْ

***

هو الأوانُ آنْ

وهذه استنبول لم تزل تَذْكُرُ وعدَها

ولم تزل يَرُدُّ ديكُها على صدى الأذانْ

وعينه ترْقُبُ (بُورْصَا) من بعيدْ

فربما هناك يبدأ الزمان!

ربما..؟

آهٍ وآهْ! يا سيدي من (ليتني) و(ربما)!

فمن لقلبيَ المتبولِ سيدي بخارق من نور

يشق صمتَ الليل فجأةً

فيرسم الطريقَ نحو نبعه العظيم..!

فإنني لم يبق مني غير قطرة أو قطرتين!

وينتهي الرهانْ!

استنبول/حي فاتح: ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ

٢٦/٠٧/٢٠٠٣م.

المشاهدة الثانية

صورةٌ مهرَّبةٌ لبديعِ الزمان النُورْسِي

إلى الأستاذ المربي مصطفى صنغور

قــال لها ذات ليلة: (فلا تُديرِنَّ رأسَكِ فَرَقاً من الموت! خائفة من القبر، بل حدّقي في القبر! وانظري إلى حفرته بشهامة! واستمعي إلى ما يطلب! وابتسمي بوجه الموت برجولة! وانظري ماذا يريد؟ وإياك أن تغفلي!)

الكلمات: ١٩٣.

....

تجيئين رائعة كالغديرِ

فتملأ أنفاسُك المشتهاةُ خمائلَ روحي

وتطعمني من رحيق الرضابْ

فها هي ذي الآن أعرافُها تتهدل مثل غدائر (لُونْجَا)

وتَصْفِنُ بالبابِ

تسألني جارتي :

– من تراها التي ..؟

وتدخــل – آهٍ – لتلبسني رعشةً رعشةً ؛ حتى آخر أنفاسها .. !

تُصَيِّرُني نغما جارفا ..

فينساب جدولُه مطلقا في المدى ..

ولا كانسياب الرَّبابْ !

....

ها إننا الآن في الشمس جسمٌ لطيف كَذَوْبِ الضحى

قــد توَحَّــدَ حتى الأنين الأخير ، وشَفَّ ؛ فلا ظلَّ منا يُعَفِّرُ خطوتَنا بالترابْ !

***

ألا أيها العمُر المتدفقُ سهوا، لماذا تُكَذّبُ كلُّ المساءات
منك مرايا اشتعالي؟
فـــتوهمني أنـــني في جِنان اللهيب، وما هي إلا صدى
صرخة واحدةْ ؟
ليس يحجبها عن أساها سوى خطفة من نعاس خفيفْ !
وأَذْكُرُ حين استهل ثغائي الوليد
وأنتِ تمدين كفيك نحوي ..
كانَ حضنُكِ مثلَ الحرير يزملني بالتراتيل والأمنيات
ولا كَيَدَيْ أميَ الباكيةْ
قلت لي : إنطلقْ !
فانطلقتُ؛ فكان فؤادي نخيلا ..
وكان نداؤكِ أولَ عصف الخريفْ !
آه ويحي !
كفُّها تطرق الآن بابي ، وتَصْفِنُ أعرافُها ..
تَتَهَدَّلُ مثلَ غدائر (لُونْجَا) ..

وتسألني جارتي :
من تراها التي ..؟
فأَدْخُلُ يقظتَها / سُكْرَها حتى آخر جذبتها السابعةْ !
فها هي ذي الشمس تمتص كلَّ رحيقي ، وتنثرني حطبا
أو هشيما!
فأمسي على شاطئ الروح وحدي
لَقىً مهملا من قشور المحارْ !
فيا أيها العابرون العطاش بلادي سرابٌ يمد السرابْ !
وليس بأحداق خابيتي قطرةٌ من ندى ..
فماذا سوى الماء يحتضن الماءَ في غَيْهَبِ الكلماتْ؟

***

أعْلَمُ سيدتي أن الموعدَ وقتُ !
لكني ما زلت أحن إلى رائحة الطين إذا انطلقت أشواقا
تملأ معمار الفخارْ!
وجمالَ الحزن الليْلِي

ومَسْرَى العشاقِ

وهَسْهَسَةَ السنبلِ في أول أنسام الصيفْ !

وتراخي الظل على الماءِ ..

ولكنْ

كفُكِ سيدتي تطرق بابي الآن ، وتَصْفِنُ أعرافُكْ

تتهدل مثل غدائر (لونجا)

فتسألني جارتي :

من تراها التي ..؟

ثم أرمقها خطفةً من وميض احتياري

وأمتد موجا على وَجَعِ نَوْرَسيْ

وأرحل في نفحات السحابْ !

***

حُلُماً كان عُمْرُكَ يا ولدي ..

أو ظلالا لروحٍ خفيْ

تستمد سنى لونها القزحيْ

من رؤى سُدُمٍ واهمةْ !

....

غابتي ، تسبح الآن في حيرة الماءِ ..

فانسلي عن ثيابي غلائلَك المشتهاة ..

فقد ذاب وهْمُكِ ..

وَيْ !.. ذاب كلُّ الترابْ !

مكناس / المغرب : ١٩٩٨/٠٥/٠٩ م

المشاهدة الثالثة

الجواب الأخير لبديع الزمان النورسي

إلى الأستاذ فرنجاوي: الأمي الذي قرأ كل اللغات!

(أتكلم في مقامي، لا في مقام السامع المواجه لي، خلافاً لسائر المتكلمين، الذين يفرضون أنفسهم في مقام السامعين (...) فإذاً لا أذهب إلى مقامه، فليرسلْ هو خيالَه إليّ لأضيفه على عيني ، في رأسي؛ كي يرى كما أرى!) المثنوي العربي النوري: ٢١٨

....

أما بعدُ

فيا ولدي الموعودْ!

إني أزجيك سلامَ الوارد من آخر دَفْقات النورْ ..

هذا جوابك تنساب إليك مواجده من خضرة هذا الليل الساجي ..

وظلال القنديل المشهودْ

قرأت سؤالاتك رشفا ، رشفا

فإليك نثار مواجعها :

وتسألني يا ولدي عن كنه اللذة عند تجلي رونقها الرقراق على القلب .. كأنك لا تعلم أنْ ليس المسؤول بأعلم من سائله .. آه!

والوقت له أدب ، كل سؤال قبل مقام الإذن على صاحبه مردود!

آه يا سالك مردودْ !

يا ولدي .. وتعلم !

إنْ هو إلا مسرى من أبراج الليل الغافي

تقطنه الأقمار الخمسة ، من يكشفْ سِرَّ مطالعها يخطفه الشفقُ الأخضر

أو يسكنه الصوت الآخر

أو تتفجر من بين محاجره غدران النورْ

أو (...)

لا حصر لأحوالهمو يا ولدي

ما أعرفه أن لهيب تحوهم لهمو سَلَمُ !

أما لحظات النجوى فرحيق ورضابْ

ليس لنا من مطلعها وقتٌ موزونْ

لكنّ أمارتها أن تلد الليلةُ بهجتَها ..

وترى العشاق حفاة يلتقطون نثار النجمِ ولألأة الغيمِ

عسى أن تومض أعينهم بإشارات الدر المكنون!

تلك مدارجهم .. عالية الأبوابْ !

يا ولدي .. فتعلمْ!

ويحك لو تدري ما متعة شهد الإشراق الصاخب في

صمت الغابات الساجي!

يا عجبا!

تسمعه العين ، ولا ينقر في الأذن لضجته بمهاوي

الشلال طنينْ !

فاشرب واركض يا صاح برجلك!

نار المغتسل السلمى لك بردُ واشربْ !

ذَرُّ نداها الشارد يكفي لسقاء الهلكى عطشا

ما بين النخل المغبر بمراكشَ والصدأ المتكلس حول

منارات اسطنبولْ!

يا ولدي .. فتزودْ !

آه لو تمتد عروق الماء قليلا – قلت : قليلا – لانبجس

الروحُ الثجاج بكل الغابات صفاءً وجمالاً!

فإذا الأجساد تشف ، تشف ؛ فلا نبض إذن تكتمه

الأضلاع !

وما غير الحمأ المسنون يحاصرنا بروائحه ؟

حتى ليس لنا من كل محيطات العالم إلا هذا البحر

الميتْ !

يا ولدي .. فاحفظ عني!

إني لا أغرف مني!

آخر كلمات النور بدايتُها

لا تَسْلُكْ منها بحرا أو نهرا ، أو حتى ساقيةً!

واسلك يا ولدي قَطْرَهْ!

أو ذرهْ!

ترفعْكَ الأمواجُ أميرا بمحيطات الملكوتْ !

هذا آخر عهدي .. يا ولدي

فاحفظ عني !

إني أنهكني الرشح المحموم فلم يبق بخابيتي إلا غرفة دنّ!

والقطر رتيب آهِ رتيبْ !

أبدا لن يترك مني !

مدينة القصر الكبير / المغرب :١٥/٠٨/١٩٩٨م.

المشاهدة الرابعة

لأربعينية الجريد أغني..

إلى الغصن المتجرد للنور: الأستاذ فارس قايا

(ورغـــم أنني لم أكن أعدّ نفسي شيخاً بعدُ، ولكن من يرى الحرب العالمية يشيخ! (...) ومع أنني كنت قريباً من الأربعين إلاّ أنني وجدتُ نفسي كأنني في الثمانين من عمري!) سيرة ذاتية:١٣٢

....

قادمٌ مثل الرمال من بعيدْ ..

أعُدُّ لوعةَ السفار شهقةً فشهقةً

.. وعندما أحصيتُ من مواجع اليمام أربعين نخلةً

رأيتُ ما رأيتْ ..

رأيت للجريد رعشةً

تبعثر اخضراره على الثرى ..

وللهديل نايه ينساب صفرةً على دمي

فكان ما رأيتْ ..!

ثم اتَّبعْتُ سَبَباً ..

حتى إذا اختليتُ عند شاطئٍ

تموت في سكونه منازلُ الرياحْ

وليس إلا الروح فيه يجمع الصدى ..!

رأيت وجهيَ الحزينَ وحده يُغَرّبُ الخطى ..

ثم بكيتْ !

***

يا سيدي الجريدْ ..!

ما بال سرك القديم يوقظ الجوى بخافقي ؟

يرش خوفيَ الملتاعَ بالندى ..

ويختفي !

....

آهِ .. وآهْ !

ولم يزل مكنونُ طيفها البهي هاربا بين الظلالْ

قبضت ألف قبضة بين يديْ سَعَفِكَ الجنونْ

فلم أجد إلا دمي وشوكَكَ المسنونْ!

يا سيدي الجريدْ !

ولم أزل أَذْكُـــرُ إذ حدثتني عن طيفها .. عن سرها ..

عن حظيَ الملعونْ !

وقلتَ لي : غدا تراها أو تراكْ

تسقيك من رضابها ، من خمرها المباحْ

لكنني يا سيدي

عَدَدْتُ من أبراج هذا الشوق أربعينْ ..

ثم اتَّبعْتُ سببًا ..

ولم أزل أنتظر الأشباح والرياحْ ..!

يا سيدي الجريد !

***

حدثني هاتفُكَ الفتانُ ذات ليلةً ..

بأنها تخرج في الصحراء كالغزال عاريةْ

تلتقط الأسرار من كرائم الأحجارْ

لكنها من لحظةٍ للَحْظَةٍ تحجبها الأنوارْ

يا أسفي ..!

وتختفي !

وقلتَ لي (...) وإنها تنام غربا في سرير الشمسْ

ثم اتَّبعْتُ سببَا ..

حتى إذا رأيتُ من إزارها الشفافِ ما رأيتْ ..

اشتعل اللهيبُ بالمشيبْ!

ثم بكيتْ !

يا سيدي الجريدْ !

***

وقلتَ لي : اختَلِسْ بهاءَها بِلُجَّةِ النَّهَرْ

إذا تجلتِ الأقمارُ بالأسحارْ

فإنها هناك تستحم خلسةً

تَغْسِلُ مِنْ بِلَّوْرِهَا الحُورِيْ

لطائفَ الأسرارْ ..!

ثم اتَّبعْتُ سببَا ..

حتى إذا اقتربتُ من خمائل الحِمَى

وكنتُ قابَ وَمْضَةٍ منَ اللَّمَى ..

– واحسرتي ..! – أُصِبْتُ بالعمى !

ثم بكيتْ !

يا سيدي الجريدْ !

***

ولم تزل تغري فؤادي بالمزيد

من وهمك المضني

ووعدك البعيد!

الأربعون نخلةً تنثر في دمي ثمارَها ..

فما عَدَدْتُ إذْ عددتُ من سِفَارِكَ الحزينْ

إلا مواسمَ القطافْ !

فاتَّبعْتُ سببَا ..

حتى إذا رأيتُ ما رأيتُ من مرآتك الوهى

تَدفّقَ الرُّعافْ !

وقلتَ لي : ها قد رأيتْ !

فاتَّبعْتُ سببَا ..

ثم بكيتْ !

عبر الفضاء بين مطارات الدار البيضاء / العيون/ الداخلة:

٢٥/٠٥/١٩٩٩م .

المشاهدة الخامسة

البحث عن فرس استنبول

إلى وارث السر: الأستاذ فتح الله كولن

(لقد نشأت في جبال الشرق، فكنت أتخيل مركز الخلافة في هالة جميلة (...) ولكن لما شاهدت استنبول المريضة وجسست نبضها، وشرَّحْتُها، أدركتُ أن المرض في القلب! ثم سرى منه إلى جميع الجهات. فحاولت علاجه؛ ولكني أُكْرِمْتُ بوصمي بالجنون!)

صيقل الإسلام: ٤٧١

....

هل غادر الغديرُ نبضَ صخرِهِ؟

أم هل جفاه غاضبا سناءُ برقِهِ؟

فأيْنَها.. تلك التي كانت هنا

ما بين مائه وعطرِه؟

تشرب من أشعة الندى..

وتلثم الثَّمَرْ..!

أليس ههنا رأيتُها تسكن في معابر الشَّجَرْ ؟

وذات غفوةٍ.. تبددتْ أطيافُها خلف الربى..

كأنما امتطت شعاع الشمس ثم غربت

فأصبحت أفئدة الأشجار فارغةْ !

وأرسل الغديرُ بينها أغرودةَ الحَزَنْ!

قيل لي: مرت بها الخيول عند بابة السُّرَى

وركضت يسكنها الصهيلْ!

*** *** ***

وقيل لي: قد رُئِيَتْ عند المساء عارية

تدخل بحر مَرْمَرَةْ

وتركتْ على الرمال حافرا مُرَقَّماً

وأثرا يشبه غصن شَجَرَةْ..

*** *** ***

يا سيدي البوسفورْ!

بِرَبِّكَ الذي بَرَاكَ بين خافقين!

تَنْقُلُ من رسائل المحبةِ السلامْ

أقسمتُ أن تضمني إليكْ!

مرجانةً من نورْ

أو صَدْفَةً تُخرِج من لؤلئها

هديةً لها؛ لعلها تعرفني

فتشرق استنبولُ من جديدْ!

وقيل لي: قد خرجت من متحف قديمْ

واخترقت – يا عجبا – كلَّ العيونْ

وأنشدت على " أبي أيوب" حزنَها

حتى بكى الحمامُ حولَها

واصَّدَّع السورُ القديمْ!

فلم يُعِرْهَا أحدٌ بعضَ الأسى..! ثم اختفتْ !

وقيل لي: قد رحلتْ

وزعموا أن فتىً شاهدها تركض في أزميرْ

ثم اختفت بين الكرومْ !

ويحي أنا المعذب المجنونْ!

أَكُلَّمَا التقطتُ من أخبارها خيطَ السنى

خطفه الظلامْ..؟

((وَلِي كَبِدٌ مَقْروحَةٌ من يبيعني

بها كَبِداً لَيْسَتْ بِذاتِ قُروحِ؟))

((أَبَاهَا عَلَيَّ الناسُ لا يشترونها

ومَنْ يشتري ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ؟))

....

يا سيدي البوسفورْ..!

تلك الرياح مزقتني بين شاطئيك موجةً

أو حيرةً من رجفة الخريفْ ؟

فأَخْبِرَنِّي عن سفينةٍ

قد قيل لي: مرت هنا تحمل غابةً صنوبريةً

فلم تزل تمخر حُزْنَ البحرْ

حتى رست على مساء التلة العليا

ثم ارتقت معراجَ ريحٍ عابرٍ..

واندثرتْ!

وقيل لي: بل غادرت إلى غروب الدَّرْدَنيلْ!

حيث الشموسُ لا تنام أبدا..!

وإنني أَذْكُرُ من غرامها حبَّ الشعاعْ

فلم تزل تقطف من سنائه وَرْدَ الصباحْ

حتى أضعتُ طيفَها واحسرتي..!

بغفوتي!

يا سيدي البوسفورْ!

*** *** ***

وذات ليلة رأيتها تصلي فَجْرَها..

فقمتُ كالحصان راكضاً

حتى أتيتُ حيَّ فاتحٍ

وقلت للإمام: سيدي أنا المريدُ دُلَّني!

فقال لي: أفي الصلاةْ ؟

يا سيدي ! قلبي الذي قد كان وحدةً

مزَّقه حُبُّ البحار خفقةً فخفقةً!

يا سيدي أنا المريضُ دلني!

فقال لي: ويحك يا وجه الردى!

أأنت من يجيء من فاسٍ مهاجرا ؟

يحمل في عينيه مَهْرَها؟

قلت: نعم؛ فأينَها ؟

فقال لي: قدَرُكَ الأسفارُ تَتْرَى دونها يا ولدي...!

مآذنُ استنبولَ أيقظتْ دموعَها...

فرحلتْ..!

وما لنا من أثَرٍ سوى الذي ترى!

وقال لي: ما من دواءٍ غيرُ دائِها !

فاركبْ خيولَ الحزن إنها هناكْ

تعيش في (بَارْلاَ) وتشدو وجْدَها

على غصون القَطِرَانْ

فلم تزل بخلوة الأشجارْ

تَشْهَدُ ذَوْبَ الشمسِ في بحيرة الأسرارْ!

....

وقيل لي لربما تكون غادرتْ سرّاً إلى أَزْميرْ

لتقرأ الحروفَ خُفْيَةً

على سنى الأقمارْ

في أسطر الكرومْ

والتين والزيتونْ

يا سيدي الإمام دُلَّني!

فإنني أنا الحيرانُ بين أنجم السَّفَرْ !

*** *** ***

وقـــيل لي – يا سيدي البوسفورْ – ربما تجيء من طريق

وَانْ

تحمل من عبيرها ذكرى انجذاب الرُّوحْ

وتنثر الأزهار في الطريق للرياحْ

وقـــيل: بَـــلْ لِغَابَـــةِ "اسْـــبَارْطا" جمالٌ يجذب الأطيارَ

والأمطارْ..

فاركبْ لهاثَ القلب نحوها

فربما لَيْلاَكَ في سفوحها تحوطها الغزلانْ

مخطوفةَ الأبصارِ من جمالها..

وقيل لي: بل هي في (بُورْصَا)

تلتقط النجومَ والحجارةَ الكريمةْ

تَخُطُّ فوقَ قِمَّةِ الثلوجِ (نُونْ

والقلَمِ وما يسطرونْ)

*** *** ***

يا سيدي البوسفور..!

ها غيمُك الجليلُ يزدهي بِدُرِّه الجميلْ

فاقْرَأْ سلامَ البرق للشطآن في مدائن الأحزانْ!

وقل لهم: سنلتقي بموعد الأذانْ !

إذا تحرك الحجيجُ في مسيرة النخيلْ

يُكبِّرُ الإمامُ أولاً

....

ويَشْرَعُ الصهيلْ ...!

شاطئ بحر مرمرة، منطقة (Gurpinar) (المنبع الفياض)

استنبول: ٢٠٠٢/٠٩/٢٧.

المشاهدة السادسة [2]

المكتوبُ الذي لم يُكْتَبْ !

إلى الأستاذ كنعان المسافر في رسائل النور أبدا..!

(كلما نادت اللذائذُ ينبغي الإجابة: " كأنني أكلت!" [3]
فالذي جعل هذا دستورا له لم يأكل مسجدا..!)
(الكلمات: ٨٦٩)

---

[2] بقيت كلمات في رسائل النور غير مكتوبة! وصارت من (المسكوت عنه)، فتوارت أسرارها بالحجاب! وذلك مثل قوله : (الكلمة العاشرة: لم يكتب هذا المقام بعد!) الكلمات: ١١٥.

[3] عبارة (كأنني أكلت): اسمٌ عَلَمٌ على مسجد من مساجد استنبول، يقع في حي السلطان محمد الفاتح. بناه رجل فقير مما ادّخره من قوته اليومي، فكان يقول بدل أن يشتري طعاما يشتهيه: " كأنني أكلت! " فيضع النقود في بناء المسجد!

....

أميرةَ الخلْواتِ يا سيدةَ الأنوارْ!
أتذكرين كيف أننا
قدمنا من منابع الشموس والأقمارْ؟
نُهَرِّبُ الشعاعَ في أقبية السجون!
ونوقد للنور ألفَ دمعةٍ ودمعةً
ونصطلي من قَوْهِنَّ في محاريب السَّحَرْ
حتى تُسَرِّجَ البروقُ خيلَها / لهيبَها!
وتقذف الظلامَ من مآذن استنبولْ!
وتزرع البوسفورَ بالمطرْ!
وكيف أننا دفعنا للسَّنا رغيفَنا الأخيرْ!
عسى يكون للطيور درسُها الجديد
تُعَلِّمُ الفراخَ من منطقها الحكيم:
(كأنني أكلت!)

***

سيدتي.. أتذكرين؟
لما سَطَا السجانُ في أفيونْ
على بقايا التين والزيتونْ
وصادر الصباحَ في عيوننا
وغرَّب الحمامَ عن أبراجه
وسورِه القديمْ!
ولاحقَ الأعشاشَ من وَانٍ إلى استنبولْ
وأخرسَ الهديل في قباب (بَا يَزيدْ)
وجامعِ السلطانْ
واعتقلَ الأشجانَ في قلوبنا.. وجرَّمَ الأحزانْ!
وهيَّجَ النوارسَ الولهى
على ضفاف مَرْمَرَهْ
وشاطئ البوسفورْ
وكان حالُها الرهيبُ مثلما رأيتْ!

وكان نوحُها وعزفها المحزونْ
فغصتِ الأصداءُ بالبكاءْ
وانفجرتْ رعودُها/ أسودُها مُزَمْجِرَهْ!
وانطلق الأذانْ:
(كأنني أكلت..!)
(كأنني أكلت..!)
سيدتي أتذكرين؟
لما أتانا هُدْهُدٌ من نُورْسْ
يَرِفُّ في مباهج الجمالْ
منقارُه، أعرافُه، ألوانُه..
ولا يُرَى على بهاه أثَرُ السفرْ!
وحطَّ فوق (اتْشَمْلَجا)
ثم بنى أعشاشَه/أحزانَه على عرائس الشجرْ
وكان أن تداخلت أطيافُه/أبدالُه ببلبلٍ من أرْضَرُومْ!
وكان من هديله الحزين ألفُ حسرة وحسرةْ

وجاءنا سيدتي بنبأ يقينْ !

مدَّ جناحَه إلى الطيور فجأةً

فأشرقت ألوانُه كالشمس في المطَرْ

وامتلأ المكانُ كله

هداهدَ من نور..!

تيجانُها المرجانُ والبلّورْ

وقال لي:

دجّالُ آخر الزمان خارجٌ من ههنا

وهزَّ عرفَه الصغيرَ وأشارْ

نظرتُ بانشداهٍ، ثم قال:

بُعَيْدَ رجفة أخرى!

صرختُ مِلْءَ ألمي:

واندمي .. !

كيف وَهَا الصباحُ لم يعد إلى البلادْ؟

ولا مضتْ طلائعُ النّجادْ!

والخيلُ والليلُ القتيلْ؟

والسيفُ والرمحُ الكسيرْ؟

وثأرُنا القديمُ في ممالك الرمادْ؟

وَدَوْحُنا، وظلنا، وماؤنا، وتاجنا السليب؟

لكنه يا سادتي ألقى جناحه إلى الرياح واختفى!

فأنكرتْ كلُّ الطيور نفسَها!

فظِلَّها وماءَها!

لكنَّ نورَ ريشه الملائكيّ لا يزالْ

يَبْزُغُ عند كلِّ فَجْرٍ صادق بين الجبالْ

وينحني عَطْفاً على الأسوارِ والقبابْ

يُعَلِّمُ البلابلَ الأسماءَ كلَّها!

ولم تزل تُرَدِّدُ الهداهدُ الوهى صداهْ:

(كأنني أكلتْ..!)

(كأنني أكلتْ..!)

سيدتي أتذكرين؟

أتذكرينَ خوفَنا رجاءَنا وفَزْعَةَ الظلامْ!

لما بكينا حُلْمَنا القديم تحت طُورِ آرارَاتْ

وانفجر البركانُ لاهِباً

بالبرد والسلامْ!

وحينَها رأيتُ ما رأيتْ!

وكانت المشاهداتُ فوق طورِ (تْجَامْ)

ما بين حضن الدُّلْبِ أو على غصونِ القَطِرَانْ

فَصِحْتُ في الوديان كالمجنون سائحا:

(كأنني أكلتْ..!)

(كأنني أكلتْ..!)

مكناسة الزيتون: الأحد ٢٠ شوال ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣/١٢/١٢

المشاهدة السابعة [4]

مواجيد أبي العالية الرياحي

إلى الشاعر محمد علي الرباوي

في خلوة (الأعشاب البرية)[5]

(الموت: تبديل مكان، وتحويل موضع، وخروج من سجن إلى بستان! فليطلب الشهادة من كان يريد الحياة!) الكلمات:٨٦١

---

[4] أبو العالية الرياحي أحد زهاد التابعين كان عبدا لامرأة في العراق، فلما اشتهر بزهده أهدته لحلقة الحسن البصري، ولقب بذبيح الله. وكان إذا ذُكِّر بالله صعق!

- والمواجيد: جمع موجودة، وهي حال ذروة الوجد.

[5] الأعشاب البرية: اسم ديوان للشاعر الرباوي.

....

يؤرقني الدَّجْنُ ياسيدي

فأنــادي المواجــيدَ عَلّي أرى هؤلاء المريدين يفتتحون

القنوتَ، فأرقص فجرا على طلقات المآذنِ!

حــتى إذا كــان بــدء التجلي رميت بنعلي، وصحت

بِطُبْقَالَ(٦) في وجه كاهنة الليل:

– ويحــك إني أنا النور والنار آتيك باللهب المتوقد في

بطن مراكشٍ!

فمــا زال يومض مذ كان رسمُ الغصون على ظهر آدمَ

فاضرب ببرق الغمامة يرتفعِ الموبقُ!

وأشعلتُ دمعيَ فازَّلْزَلَ الطودُ قبل السلام!

فعفوا أيا شيخُ هذا زماني!

فما عاد نوح المحبين ليلا تُرَجِّعُ أصداءَه هائماتُ اليمام!

---

6 جبل طُبْقَال: أعلى قمة من جبال الأطلس المغربية.

وهذي التراتيل أسرى، وكل الهديل تمزقه العاصفاتُ

فــأنى تصــيخ إلــيه العراق فتبكي؛ وها البصرةُ اليوم

مسجدها مغلقُ!

فإما يكون السِّفارُ إلى منزل الوجد فهو ببطن الكهوف

البعيدةِ، إذْ تقلع السفن العارياتُ إلى شاطئ الأنسِ

فَابْكِ ترَ الأرضَ توقف دورها وتُرَجِّعُ نوحَكَ زلزلةً

يتصدع من هولها الغرب والمشرقُ!

ولكنني عاشقٌ .. والنواحُ ربيعُ الهيامْ

يؤسفني! .. فبكاؤك يا سيدي اليوم عاصفةٌ تقلقُ!

وهل كنتُ أبكي مريدا؟

فإن أنا إلا ذبيحٌ، دمي كان غيثا لزهر البراري، وعشب

الجبال الخوالي

ومــا نوحيَ اليوم غير صدى الصمت يعزفه في فؤادي

سكون الليالي

فأوْقِفْ إذا شئتَ هذي العواصفَ! إني خريفٌ

فكل الغصون تباح قصائدها للرياحْ!

فما أنا من شرَع الاحتفالَ بهذي الفصولِ

ولا كنتُ حين استفاق الندى أعينا صافياتٍ تطل على

حمرة الوردِ

إني عشقتُ وما كنت أعلم عشقي إلى أن أحاط غصونيَ

أمرُ السِّفارْ!

فأوقفْ إذا شئت هذي العواصفَ.. ما كان مني اختيارْ!

وأغلقْ إذا شئتَ كلَّ المساجدِ! أطفئ منارالها!

غير أن المساء بها يتجلى بهاءً؛ فأَصْعَقُ – لا أدري كيف!

– بمحرابها ساجدا!

وأصلي مع الفقراء إلى أن يغيب سنا الاخضرارْ!

أنا لم أكن حينما بَشَّرَتْ قطرةُ الماء بالنخل في واحتي!

ولا كنتُ حين أَسَرَّ جريديَ بالعشق للنور قبل انزراعي

وأقسم ألا يخون الجمالَ البهيْ!

مريدٌ أنا ..

ولكنَّ جذب الجمال اجتباني.. فما للإرادة في بحر حبي

رسوم!

هو النهر يجري فيفنى على موجة الانتماء الشهيْ

فيا أيها الفقراءُ/ المريدون نوحوا..!

فإن المحبين إنْ أحرموا وجدوا!

فمن ذا قديرٌ على منع رعشة هذا النخيلِ

إذا ما تولى الصَّبا دامعا من مقام الخشوع، وورَّقَ أحزانَه

وارفاتٍ على كل قلبٍ تقيْ ؟

فعفـــوا أيا شيخُ هذي مواجيدك اليوم تفتح حالا جديدا

بكهفي البعيد

سأعلن أني اقتربتُ، وأنيَ اسكنتُ حزني بنبع الرياحْ

بكاءً/ رصاصا، ووجدا مباحْ!

فلتغلقوا البابَ أو تفتحوه! هو الليلُ أعلن بدءَ الصباحْ!

وأشرق نور التجلي بكل العراق، فلا شيء إلا استحال

نخيلا!

فكل التماثيل نخلٌ، وكل الصخورِ، وكل الحديدِ، وكل
المراكبِ
حتى البناياتُ صارت نخيلاً، نخيلاً ... نخيلْ!

....

وتَذْوِي الرياحْ!

المحمدية/المغرب: ٢٨ شعبان ١٤٠٩(٠٥/٠٤/١٩٨٩).

المشاهدة الثامنة

دجلةُ مَهْرُهَا من لَهَب !

إلى ترجمان الوجدان: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي

(ولقد كنتُ في وقت ما، في الحروب العالمية الأولى، أتألم كثيراً من المظالم والقتل الذي يرتكبه الأعداء تجاه المسلمين! ولاسيما تجاه أطفالهم وعوائلهم! وكنت أتعذّب عذاباً يفوق طاقتي! لِمَا فيّ من شفقة مفرطة، ورأفة متزايدة!) (الملاحق: ١٢٤)

وقال أيوب بن خولي البجلي يرثي أصحابا له قتلوا:

تركتُ تميمَ بنَ الحُبابِ مُلَحَّباً
تبكّي عليه عرسُه وقرائِبُهْ
وقد أسلمتْ قيسٌ تميماً ومالكا
كما أسلمَ الشَّحَّاجَ أمسِ أقاربُهْ

وقـــال عتبان بن أُصَيْلة الخارجي، مخاطبا عبد الملك بن مروان:

لعمري لقد نادى شبيبٌ وصحبُه
على الباب لو أن الأمير يجيبُ!
فإنك إلا تُرْضِ بكرَ بنَ وائلٍ
يكنْ لكَ يومٌ بالعراق عصيبُ!
فوارسُنا من يَلْقَهُمْ يلقَ حَتْفَهُ
ومن يَنْجُ منهم ينجُ وهْوَ سليبُ!

....

وأين تدس انتماءَكَ أيها السامريّ؟
فعجلك صهيون تعلفه، ليروث على القِبلة العامرة!
وفي الشـــمس يحمـــل محـــراثَه الأطلسيَّ، ويركض بين الحظائر، يرعد في البوق من خلف كل الإذاعات، يصنع أمجاده من عباءته الوافرة!
هـــنا نَجْـــدُ: حاضرةُ الروم تنشر أحلافَها بين تَلِّ أبيبَ ومكةَ
فالآن كل المراسم كاملة الشكل واللونِ
لم يبق غير المغني!
فمن قال: لا يطرب الحيَّ منشدُهُ؟
فلتغنِّ القيانُ من الشام والقاهرة!
ولا تأسَ يا صاحبي!
فمن ذي تكون التي تستضيف العلوج بخيمتها..
إذا لم تكن فاجرة؟

فليصرخ العجلُ ما شاء إن الخوار سيبقى خوارا:

(غدا سيحرر غاصبُ قبلتنا القبلتين!)

(ويطرد من قدسنا الأجنبيّ!)

(غدا سأحررها.. وطني أنا وطنيّ!)

ستحررها؟.. وأنت تبول على ثوبك العربي!

ألا أيها الوطن المتردد بين مخاض الشتا ونزيف الخريفْ!

أللشتْوِ تزحف أم سَبَقَ العذلَ سيفُ التزيفْ ؟

فلمن ستغني البلابل في بصرة الحزن آهٍ! لمن سيغني الشجا ؟

أ(لعاصفة) الخوف أم (لحسين) الرجا ؟

فها أنا ذا أُشهِدُ النخلَ في كل واحاته أن عرجونَ مراكشٍ من لقاح العراقْ !

فمن ذا قدير على مسخ ذوق الأحبة في كبدي ؟

ومن ذا قدير على منع مسك الردى أن يثير فضول الأنوف

إذا هَبَّ عاصفُه بين أشجار قلبٍ تَكَسَّرُ أغصانُه واحدا واحدا ؟

ألأني أحب؛ أُبيحَ لمزبرة الروم في وطني أن تشرع بين جناحيَّ هذا الفراقْ ؟

أحب العراقْ !

وللحب نَهيٌ عليك وأمرُ

وللحب بوحٌ.. وبوح الهوى من زعاقْ!

ولكنْ أنا صاحبي ما شَرَعْتُ الهوى..

فها هي فاسٌ مآذِنُها كلَّ فجرٍ تردد عشقَ العراقْ!

وإن كان شيخ السلاطين يصنع فتواه حلوى يؤلهها..

ثم يأكلها إذ يجوع مساءً!

فبؤت بخسرانك اليوم من تاجرٍ!

أتجيز الركونَ لِظلِّ النفاقْ ؟

بناءً على (سَنَدٍ) من ذهبْ ؟

وتدهـــن! كـــيف؟ وإنـــك تدري بأن ارتداء اللهيب

احتراقْ!

ورِبْقَةُ دِينك يا صاحبي من لهبْ !

أحب العراقْ !

فها وَجْدَةُ اليومَ شاهدةٌ أن طنجةَ سيدةَ العشق لَمَّا تزلْ

تنثر الحزنَ ساربةً في ضباب الرباط

وتسأل: أين فتاها ؟

فكل الذين يمرون من بين أحزانها ساربين يجيبون:

إنـــا رأيناه يوما يمر هنا عبر هذي الشوارع سيلا يبشر

بالانعتاق!

كان مصحفه رايةً كبَّرتْ للزلازلِ:

يا أيها العجل! موسى على الدرب آتٍ

فأخبر عبيدَك: ملتنا مطرٌ من لظى!

فاغتسل يا شهيدُ !

وأعلنْ لهوج الرياحِ: برئت إلى الله من ملة الإرتزاقْ !

أحب العراق!

وللحب نهيٌ عليك وأمرُ

فكيف السبيلُ إليكِ أيا دجلةَ الخيرِ؟

ها مهرك اليوم صار لهيبا!

فهل يا(سَبُو) قد تراك قديرا على سبق

أقرانك العاشقين؟

وفتح جناحيك للقادفاتِ، تزغردن بين

النخيل؛ فتنتصب (الله أكبرُ): رايتُك المشتهاةُ

يبارز من تحتها الساعدُ الأسمرُ!

ألا يا سبو يا أمير الشجون حدائقك الآن عطشى!

ودجلة فيك تجلتْ عروسا تساقي فوارسَها، فاسقني!

إنني لا أُسرُّ إذا أمكن الجهرُ !

هذا فؤادي يموجُ

وموجـــكِ يا دجلةُ اليوم وشحه القصفُ أجنحةً من دم

القدسِ

ألوانُها من ربيع اللظى.. والشذا عنبرُ !

فاسقني !

أعاذلُ كُفّي من العذلِ! هذا أوان الخروج، وكل الجراح

تنوح:

إلى مَ؟.. إلى مَ ينام على الذل في غمده الخنجرُ؟

ألا يا مزار الأحبة في يثربٍ!

أفي آخر الدهر ترعى الخنازير في حرمات الحمى؟

وتشرب من نفطه ما تشاء ؟

قريشٌ تنصرتِ اليوم يا سيدي!

ودانت بدين العجمْ !

فقد عَطَّلَتْ شَرْعَ بارئها..

وخرَّتْ تُمَجِّدُ شرعَ (الأممْ)!

فها هي ذي بالجوار العتيق تُنَصِّبُ صلبانَها!

وتضرب من قال: (لا)؛ بالحُمَمْ !

وتستنصر المترفين عليه؛ لتمزيق أوصاله بالصليبِ

وإجباره أن يسير كباقي الغَنَمْ !

فيرغو؛ ويرغو القطيعُ: نَعَمْ !

نعَمْ!.. نعَمْ!.. نعَمْ !

ألا يا أمير الغواني يهودُ لك اليوم تِرْسٌ

فدَمِّرْ بلادَكَ! قتِّلْ فوارسَها الغُرَّ..!

وانشر عباءة خزيك فوق الحرائرِ!

كل النساء لك الآن سَبْيٌ !

فكُلْ وَتَخَيَّرْ إذن بين حُمْرِ النَّعَمْ !

وأما العجول فمنذ متى عَرَضَتْ للأميرِ؟

ومن أصبعيه جرى النفطُ (معجزةً) أحرقت شجرَ العِزِّ

فينا ؟

فواعجبا! حُفَراً غدَتِ اليوم كلُّ القِمَمْ !

أتعجب؟ ويحك هذا زمان جديد:

غدا سنعانق أهلَ الكتابِ

فإخوتنا في الإلهِ – لفرط محبتهم للسلامِ – همو الآن قد

حفروا خندقا في الخليجِ

يعانق فيه الهلال الصليبْ !

وبارك هذا الهوى العَمُّ سَام

وباركه بعدُ شيخُ الأُمَمْ!

فيا رب! هذي القوافل ساريةٌ في الدجى

والحداء بها ماجنٌ، لا يغار!

فمن لملوك الطوائف يا سيدي

(بِزَلاَّقَةٍ)! ترفع الذلَّ عنا، وتنسخ شرعَ الظُّلَمْ ؟

المغرب/المحمدية: فبراير: ١٩٩١م.

المشاهدة التاسعة([٧])

هَمْسُ النِّيلَيْن

إلى الأديب الناثر شعرا: الأستاذ أحمد الأشهب

(وها هم العرب قتلوا شقيقهم البطل خطأ، ومن حيرتهم لا يعـرفون كـيف يبكون وينتحبون! وها هي إفريقيا قتلت أخاها دون علم به، والآن تصرخ وتولول!)

(صيقل الإسلام: ٣٦٥).

---

[7] بـين مدينتي الخرطوم وأم درمان بالسودان يلتقي النيل الأزرق بالنيل الأبيض؛ ليشكلا بعد ذلك نهر النيل الكبير الذي يتدفق نحو مصر. ويقال: هنالك هو (مجمع البحرين) حيث التقى موسى بالخضر عليهما السلام.

....

سيدتي ..!

يا زهرةَ هذا العَبَقِ الأسمرْ !

يا عطر العود الليليّ !

يا وهج البرق الأخضرْ !

شَعْرُكِ هذا المتدفق عبر النِّيلَيْنِ خمائلَ تسحرني ببخور الجنةْ!

تملؤني شوقا نحو منابع هذا الوطن المكنونْ

عسايَ أعانق أدغال الماء

وأرحل عبر غدائرها نحو تخوم الجرح النازف مسكاً وجمالا!

هذا الزورق سيدتي الراحل عبر الهمس الليليِّ

يناديني أنْ أقْبِلْ!

إن جنوب بلادي أعراسٌ تهدي بين الطلقة والطلقة للأغصان مراكبَ من عاجٍ فضي

تشرق منهن عرائسُ ينثرن غدائرهَن/جدائلَهن قصيداً غزليا من أزهار العنبرْ !

آهٍ يا ولدي مَنْ لي بصبايَ الحالمِ أغرسه أياما أخرى تنمو بالخرطوم حدائقَ من شجر الأحزانْ ؟

آهٍ يا ولدي لو كانْ !

لو كانت تجربتي الأولى حبا قد صيغت كل قصائده من لهجة هذا الوادي..

لسكنتُ الآن رياح الزمن الفجْرِيِّ

ولاستنشقتُ – ككل الناس هنا – عَبَقَ الماءِ السَّاجي

وشعاعَ السمرة وهْيَ تبيح لريشتها أن ترسم كل الألوانْ!

واحاتُكَ يا جُرْفُ[8] ظلالُ نخيلٍ تهمس بي في صفحة هذا النيل الساري عبر فؤادي:

---

[8] قرية الشاعر بإقليم سجلماسة جنوب شرق المغرب.

أنْ يـــا غصنَ الرمْلِ! أما آن لنبضك أن يرجع للساقية
الأولى
ويزاحم أغصانَ التين على نبع الكوثرْ ؟
لكني سيدتيَ آهِ عصيتُ كثيرا، وبعدت كثيرا!
حـــتى ضاعَ فؤادي بين مدائنَ ليس لها من بين فصول
الحول سوى عاصفةٍ تغدو وتروح صقيعا تتريا!
فلعل غدائرَكِ السوداءَ تضمنخني بمقام الصَّحْوِ
إذا مـــا أبصر هذا الليلُ الساجي بنجوم السَّحَرِ الناثرةَ
الحُبَّ جمالا، وقصيدا عذريا، وبقايا من همس بثينةَ تَنْبَثُّ
مواجدُهُ أصداءً تتداعى عبر الأزمانْ !
فلمن تحكي يا أمس مواجعَك الآنْ ؟
هذا الولدُ الشاعر قد فتنته الفرسُ الصافيةُ العينينْ
فها قد ركضتْ سافرةً نحو منابع أنغام الفجر الأولى
كي تشرب من أول دَفْقات البَيْدَرْ
حين تفيض سنابلُه رَقْصَ عذارى من جرحٍ أخضَرْ !

عجـــبا! كـــيف تحاصرني داليةُ الحزن أغانيَ من ترنيم
(مَهُوقْني) وأهازيج (النِّيم)؟[9]
وتمنعني أن أسترجع ذاكرتيَ!
إذ ترسمني طفلا أنبت بين عواطفها الريَّـــى
مسحورا بروائحها، مجذوبَ الوجدانْ !
ســـيدتيَ! إني أعلنت استسلاما للحب الدافق عبر النيل
جنوبا فشمالاَ!
فخذيني !
إني آلَيْتُ على ألا أمنع عن قلبي اليوم جمالاَ !
وخذيني!
إني الشحرور المسحورُ !
فـــلا كانت أيامي بعدُ، ولا كانت أشعاري إن حرمت
حلالاَ!

[9] مهوقني والنيم: نوعان من الشجر المنتشر بالخرطوم.

فسلاما مني يا زورقُ – ما جَدَفَ المجدافُ – على حقل القمح الأسمرِ

والقمرِ الناثر فوق النهر بهاءً وجلالاَ !

الخرطوم – على ضفاف النيل: ١٩٩٥/٠٤/٠٢.

المشاهدة العاشرة

لاهِبٌ وِرْدُ هذَا الزمَان!

إلى الشاعر سعيد ساجد الكرواني، على رهبة شفق غارب؛ لاستشهاد الدكتور فتحي الشقاقي!

(لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد. إلاّ أنها الآن تعادي الحياة بأكملها!

فــإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق؛ فليعش الجنون! وليعش الموت! ولتعش جهنم مثوىً للظالمين!)

صيقل الإسلام/المحكمة العسكرية العرفية، ص: ٤٤٠

....

بداية الوجد:

تناديني القنيطرةُ اختلاسا

فأذكرها على بُعْدٍ فآسى

وتارة ليلها أضنى جناحي

فما نسيَ الفؤادُ وما تناسى

تحاشتنا الطيورُ على تَراخٍ

وكُنّا عندهم قَطْفاً غِراسا

فها نَشَفَ الغديرُ فلا هديلٌ

يؤانسنا إذا ما الحُزْنُ جَاسا

فصرنا بينهم من بَعْدِ وُدٍّ

نقول – بغير ذنبٍ – لا مِسَاسا!

ذروة الوجد:

وما كل ما تتمنى المواجدُ تدركُهُ!

فآه أيا فارس الغمراتِ!

أوَحْدَكَ تمضي؟ ووحدك تقضي؟ ووحدك تُبْعَثُ في وطن القُبَّرَاتِ؟ ولا بازيَ اليوم يَكْسِر صمتَ الصدى؟

فمن يقطف الشوك إذ يتفتح في الفجرِ؟

من يقطف النار حين تفوح أزاهرها عنبرا؟

ومن ذا قدير على فك ألغاز هذا الفتى..؟

إذ تَسَــربَلَ ألغامَــه وسرى.. يتشكل من طيفه الفرد سبعون طيفا،

إذا سجَدَتْ ألهبتْ كلّ هذا الثرى حَجَراً حجرًا!

آهِ ساحرتي! يا حماسية الخَطْوِ!

مَهْرُكِ موجدةٌ في انفجارٍ.. قتيلُكِ فيه المحب فتيلُ!

فما أكثر القوم حين تعد الفوارس!

لكنهم عندما يُذْكَر المــَهْرُ صَفٌّ قليلٌ، قليلُ!

شيوخُ القبائل قد رفعوا راية العز فوق المواخير ليلا!

ولكنْ نساؤهمو في الصباح يبعن ضفائرهن بسوق يهود!

فمن لرقاب الزنادقة الخائرين بسيف الفَقارْ؟

ومن للحوافر يَقْدَحُ أحزانَها غضبا؟

ويرفع في الجو بعض الغبار!

آهِ من للصلاة بمحراب تلك الثغور إذا اشتعل الوقت في غسق القرّ؟

هل من إمام يرتل أذكاره عبر مسبحة من رصاص؟

وكيف الصلاة وكلُّ الأئمة قد غرقوا في النجاسة؟

كيفَ؟ وها الصف من خلفهم يتسكع بين الدروبِ!

يفتش عن لقمة بين مزبلة لليهود ومزبلة لليهودْ؟

حماسُ لكِ اليوم أن تيأسي من فحولة هذي العجولْ!

فما عاد منها الذي يشحذ القرنَ للنطحِ

أو يتحرك للفضحِ

يَنْشَقُ شيئا من الريح – سهوا – لِيُصْدرَ بعضَ الخوارْ!

سلام على زمن الضخ عبر الإذاعة سترا لعورة التواطؤِ

هذا زمان افتضاح الخيانةِ! هذا زمان افتضاح الثوارْ!

فيا أيها الولد المتفرد بالسير ليلا إلى موكب الثغرِ!

كُنْ أُمَّةً من ربيع الحَزَنْ!

فهذي العواصم قد فقدت نبضَها!

فقدت لونَها! فقدت ريحَها! فقدت كل معنى جميل!

فهـا رحَل الطيرُ، والنهر، والزهر، والساقيات، وكل التغاريدِ

حتى المنازلُ قد أسلمتْ روحَها!

ولم يبق من سَكَنٍ أو وَطنْ!

لم يبق إلا الصخور ورأس الوثنْ!

وأشـباه قـوم يخـرون صرعى – وما هم بصرعى –

ولكنهم يتهاوون ذلا بسوق الفتن!

ساحرتي! يا مجنحة الخيل! بارقةُ الليل قد خطفت كبدي!

فخذيني إليها..!

فإني مَشُوقٌ بتغريدة الفجر حين صفاء المقام!

كلما زغرد الموتُ وهو يزف بشائرَ حُزْنٍ جديد!

فيشـتعل الغصـنُ أقواسَ نصرٍ تهيج التَواجدَ برقاً يشق الظلام!

....

ويبكي اليمام!

فلا تنتظر صاحبي..!

دمُكَ الآن نهر يجوب الشوارع في الشرق والغربِ

والخـيلُ ساكنة العين حول القصور، ترد التحايا لوفد السياح!

هنيئا لك القطر يا سعف النخلِ!

هـذا أوان التدفق، فانثر عراجينَك الزاهيات، وأنداءك الطاهراتِ

فهذا مقام الفناء بقاء جميل!

وإنَّ تواجد هذا الزمان ارتعاشٌ، ووارده طلقةٌ من أذان
الصباح!
فهـــل أذنَ الرعدُ للعاصفات؛ وللشجر المتبتل في الليل؛
أن يتحرك زحفُهُ رغم الجراح؟
ألا لَأهِبٌّ وِرْدُ هذا الزمانِ
فقم صاحبي.. وانطلق في الرياح!

مكناسة الزيتون: ٢٩/١٠/١٩٩٥م.

المشاهدة الحادية عشرة

المَدَارُ المختلِف

إلى الشاعر الأستاذ محمد لقاح

(في مثل هذا الزمان لا يأذن الشرع لنا باختيار الترفه! (...) إن نعمـــةً ما مندرجةٌ ضمن كل مصيبة. لاحظها بدقـــة لتشـــاهدها! إذْ كما توجد درجة حرارةٍ في كل شئ؛ ففي كل مصيبة توجد درجة من النعمة!)

الكلمات: ٨٦٩.

....

(...) وأَشهدُ أن فصلَكَ من مدار الإِنخطافْ !
قد اكتهَل الزمانُ ولم تزلْ
فيك الطفولةُ ترتدي أشواقَها
والاختلافْ

من ذا قدير أن يفسر حزنَه البسَّامَ فيكَ

وأن يترجم زهدَه البدويَّ فيكْ

لما يوَقِّع شِعْرُك المجذوبُ أحوالَ الجراحْ ؟

فَسَلِ الرياحْ !

إذا شَرْقِيُّها ألقى إلى الفلوات رجعا من معلقة الكفاحْ :

يا... !

ومضى الصدى متوجعا !

فتَدْوي: (إنْ تكن ...

فأنت مصابُ، أنت مصابْ !)

فاعزفْ شجاك بذروة التغريد ينكسرِ الربابْ !

واذَنْ لشرع الشعر أن ينـــزاح عنا هادئا

فاليوم يبدأ صاحبي شرعُ الحرابْ!

لا خضرةٌ تُرجَى من السبع العجافْ !

فَسَلِ الحوافرَ في السرى : كيف السرى؟

العادياتِ إلى السُّها

المورِياتِ لهيبَها

وسلِ الخفافْ

....

يا صاحبي وجب اللظى فلتشتعلْ

كلُّ القصائد في جوَاكْ!

أنا المريد فدلني !

***

وأَشْهَدُ أن فصلَكَ من مدار الإِنخطافْ !

هذا أوانُك سيدي

فاملأ قصيدَك واسقني !

ولتحتملْ غدرانُك الغضبي دماً

حتى الضفافْ !

مكناس ٣ ذي الحجة ١٤١٧ - ١٠/٠٤/١٩٩٧

المشاهدة الثانية عشرة

رَمادُ الطَّيْر

إلى صاحب الكلمات الأخرى :

الشاعر الأستاذ عبد الكريم الطبال

(أرى الموت صديقا لا أخافه مثلك!

أدخل القبر باسما، لا أرتعد مثلك! (...)

سأقوم على صدى أذان إسرافيل في فجر الحشر، قائلاً:

"الله أكبر"!) الكلمات:٢٢٩

....

طَيْفُكِ يعرض بين يديَّ غوايَته الآن!

يسحرني

يخطفني من وعي الغيب الشاهد بالأحزان على الأحزانْ

يلفح وجهي بمواجده الحَرَّى ..

وتضطرب الأوزانْ !

آه سيدتي .. !

هَمْسُ النار على خديكِ رهيبُ

ألحظه مأخوذَ القلبِ

فيصرخ في وجهي صمتُ العينين الناعستين :

ويلك يا وجهَ الحزنِ الحالكْ !

إنك هالكْ !

إنك هالكْ !

وأشيح بوجهي فورا

فإذا بي أبصر في الأشياء عَمىً

يبتلع الألوانْ !

أوَّاهُ فقد صَدَقَ السِّحْرُ كواذبَهُ

فالْبَسْ خلواتك يا مجنونْ !

إنَّ العشقَ غيابٌ لا يرجع صاحبُه أبدا !

***

ذات مساءٍ ..

جسَّ العطارُ الفزَعَ الراكضَ في كبدي ..

أطرَقَ دهرا ثم أفاقَ وقال :

دواؤك يا ولدي ..

– وامتلأت عيناه أسى – بعضُ رماد النَّجْمِ الساقطِ في

البستانْ !

....

كانت داليةُ الليل الساجي تنشر خضرهَا ..

وأنا .. وحدي أسري بين مسالك طنجةَ سرّاً

أتملى لوحتَها المخبوءةَ فرداً ، ويدي تحمل فانوسا

مرتعشا :

ويحي ! أأرى أم أشهد ؟

ها بسمتُها المرسومةُ بالماء على سورٍ أثريٍّ تنقبض

قليلا !

قليلاً .. قليلاً !

ويرتفعُ الحاجبانْ !

....

حنانيكِ لا تنطقي !

إنني راحلٌ ..

فما أحزَنَ الموتَ بين يديْ حوريات الضبابْ!

سألتك بالله أن ترشديني !

فإني ضللت الطريق إلى النجمةِ الْقيلَ : قد سقَطَتْ لوعةَ

شاهدةْ!

فشبَّ الحريقُ بأطيارها والشجرْ

وكان الرمادُ، وكان المطرْ

***

وَجْهُهَا يَشْحُبُ الآن في أُفُقِ السورِ مُنْسَحِباً في هدوءْ

فيبدو اخضرارُ

كسطح الخميلة ، ينبت من طحلبٍ في الجدارْ

فينمو ، وينمو .. إلى أن يَشِبَّ غصونا

تطول ذؤاباتُها عاليا ، عاليا ..

كأيدي الملائكِ تَسْـبَحُ في أفْقها

فتبدو وتخفَى وراء مروج السحابْ!

وتحملني الريحُ يا سادتِي فجأةً

تُطَوِّحُ بي في الفضاء ، ضعيفا كفرخ اليمام!

فتطرحني بين غدرانها.. وأرى :

سورُ غرناطةَ الآن يبدو حزينا على الضفة الثانيةْ

فهَا الدُّورُ من خلفه لم تزلْ في اصفرار الأسى نائيةْ!

يكفـنها العشبُ ، فهْو الذي لم يزل يَذْكُر العهدَ منذ الطفولةِ!

يخفي حياءَ صوامعِها والقبابْ

وَيْ ..!

كأنيَ أسمع أنغامَ عودْ

تسح كسجع العصافير ، كالمطر العابِر

كالندى ، كالردى

يدب على السَّعَفِ الناثِرِ

كالدموع التَسيلُ الهوينى

وَيْ ..!

كأنيَ أسمع أنغامَ عودْ

وبعض الصدى من نشيج الربابْ!

....

وتجلتْ..!

عجبا!

كانتْ عذراء من الخرطوم تغطي كلَّ عِقاصِ ضفائرها السود بأقمصة الشهداءْ !

قالتْ:

أيّانَ شرودُك يُرْسي يا مجذوبْ ؟

قلتُ :

كيف عرفتِ ؟.. إذن أنتِ النجمةُ أنتِ !

وابتسمتْ

– قلتُ : أريني أنظرِ إليكِ !

قالــت : أولســتَ تراني ؟ أعمى أنتَ ! فها قد شَفَّ حجابي لجميع الفقراءْ !

.. أُنظرْ !

ورفعتُ إليها بصري .. فانفجرتْ !

وأصاب عيوني الحُمْرَ رمادُ ضفائرها..

فتدفَّقَ مني الإبصارُ جداولَ تلتهم الصحراءْ !

وعرفتُ :

....

فجــرَّدتُ من عشقيَ المستبدِّ جناحين ثم انطلقتُ أطيرُ إلى قبة الصخرة العامرةْ!

هنالك قيل : صغار الطيور تُعَلِّمُ منطقَها للكبارْ !

فتصطف تَرْقُبُ لحظتَها

عندما يأذن الدَّوْرُ بالإنفجارْ !

فينهدُّ ليلُ البلادْ !

وعارٌ رفيعُ العمادْ!

أناخَ بِكَلْكَلِه قبل سبعٍ وسبعين من عمْرِنا!

فيشتعلُ الريشُ برقا يذيب السحابْ !

يرش العيونَ بماءٍ

وبعضِ الرمادْ

الرباط / مكناس : ١٩٩٧/٠٨/١١ .

المشاهدة الثالثة عشرة

مَبْدأٌ جَريح

إلى الشاعر الصديق: الأستاذ عبد الناصر لقاح

(أيهـا المريض الوحيد الغريب العاجز! (...) ما دام هو موجـودا ينظر إليك فكل شيء موجود لك! والغريب حقـا والوحيد أصلا إنما هو ذلك الذي لا ينتسب إليه بالإيمان والتسليم!) اللمعات:٣٣٧

....

كمـا تَجِـمُ الكـلماتُ إذا صرختْ أدمعُ الحزن في مقلتيها..

وَجَمَ الشِّعْرُ هذا المساءْ !

فكان لأبحره الزرقِ لونُ الألَمْ !

وكان لأفواهه الضاريات صراخُ الردى ..

فهـا المـوج يقـذف بالظلمات على الشاطئ المطمئن لأحلامه ..

وينفجر الرمل يا بؤسه باللهيب!

لتكتبَ شِعْرَ الندَمْ !

ومَنْ غَيْرُ نَيْرُونَ أَبْلَغُ في وصف أحزانهِ ؟

قال لي:

إنني قد رأيتُ (سُهَيْراً) تسير هنالك في وحدة الروحِ

تبكي على أثَرٍ من بقايا ودائع باليةٍ!

قال لي :

تـتأبط بعـضَ قصيدِكَ ، أو بعضَ وَجْهِكَ في صورةٍ عَثَرَتْ – صدفةً – على بعض أطرافها في الرمادْ!

فهـا طَـرْفُها / خوفُهـا يرمق الآن طيفَك حين تكسَّرَ غصنُك في الريح ليلاً ..

وكان الذي كانَ ... آهْ !

وكان نشيجٌ جزائريُ الرَّجْعِ ، يشعل كلَّ الجرائد عبْرَ

أسى « أُمِّ سَعْد »[10]

يــترجم وَلْوَلَةَ الحزن للريح شِعْرا ، فتبكي (سهير) ،

وقد حلَّ طيفُكَ (سيفا) وليدا يسف السُّهَادْ !

يردد في مهده :

« سأذكر تلك التي ترقد اليوم في مكمنٍ

ليس يعرب عن نفسه / اسمِهِ ..

ويجسد حبي لها ..

أو صلاتي إذا ما اشتهيتُ البكاءَ على قبرها ! »[11]

---

10 (أم سعد): امرأة جزائرية فقدت كل أسرها في مذابح الفتنة الجزائرية، فأشهرت الصحف صورها الباكية؛ فكانت لها دلالتها الرمزية!

11 مقاطع من شعر الأستاذ عبد الناصر لقاح. والأعلام المذكورة في القصيدة أسماء أبنائه.

....

وتشرد ملء جفونِك عَرْضَ البلادْ !

قال لي :

كان بين القبور لها دوحةٌ من هديل اليمام ..

يبث مراثي النَّدَمْ

ويمسح عنا غبارَ السأم

ولكنكَ اليوم يا سيدي لستَ تُصْغي .. !

وبالأمس قد صدَّقَتْكَ السَّماء

فامتد حبك في لحظة من صفاءٍ قليل

لكي لا يُكَذِّبَ أشجارَ روحِكَ / شهوةَ خوفِكَ

ثم انتشيتَ قليلا ، قليلاَ

وكان اخضرارُك غصنا جميلاَ

وظلا ظليلاَ

وأطلقتَ فيه حصانا نبيلاَ ..

ولكنَّ أمَّكَ لَمَّا يزلْ قبرُها – مثلما قال لي –

ينادي سهيرا ، ولا يتذكر منك سوى دمعتيها!

ألستَ الذي قد أضاع اسمَه عابثا ؟

وقــد نســجَتْهُ بأحداقها النائماتِ – وللموت حقٌّ–

وسمَّــتْكَ في حُلْمِها (رجلاً) !

عساها تمد اخضرارا وتطلق فيه حصانا نبيلا .. ولكنْ!

ولكنَّكَ اليوم تُحْرِقُ كلَّ الحدائق ، تغتال فِطْرَتَها عابثا!

وتُهْرِقُ من كأسك المرِّ بعضَ القصيدِ على قبرها!

ولكنَّ إسمك قد ضاع من روحها أسفا!

فهــا أنــت تــرمي بكفك / سهمِك في حمرة الليل يا

صاحبي!

ثم تشتعل النارُ غضبى..!

وتنطلق النائحاتُ بكل الجزائرِ .. آهْ !

وفيكَ لِوَهْرَانَ عشقٌ قديم

فتبكي .. عجيبْ!

فمن غيرُك الآن يا سيدي قاتِلُ ؟

ومن غير طيفك ذاك المسجَّى هناك قتيلْ ؟

أمُّــكَ اليوم تنظر من برزخ الغيب ، تنشج في صمتها

الأبديْ

قال لي :

لم يزل طرفُها – مثلما كان في آخر الليل – يترف حتى

تعود!

عســى وجهُــك المتهَدِّمُ تحت الظلام الجريح يُذكِّرها

بعضَ أحرفِهِ

فتناديك : يا ... !

تحاول أن تتذكَّرَ: يا...!

– يا ولدي ..!

وتنشر فرحتُها خضرةً :

« أحبك حتى لتغدو العوالم آسرةً

ويغدو القبيح جميلا

أحبك حتى تصير امتداد اخضراري

وأطلق فيك حصانا نبيلا ! »

فهلا كففتَ بُنَيْ ..؟ !

وأقلعتَ عن دس وجهك في معطف الليلِ!

عَلّيَ أَذْكُرُ – عند صفاء الغدير – اسمَك البدويْ !

قال لي : كان ذاك الخريف يهد الليالي بعصف مريع ..

وكان التريفْ

يملأ الورقات ارتياعا

ويُخلِفُ كلَّ الوعودْ !

***

نام كل الجياع وكل الحيارى

سوى نوحِ (سَيْفٍ) وخوفِ (سُهَيْرْ)..

وحولهما لم تزل (ماريةْ)

تهدهد دميتَها لاهيةْ

وأُمُّكَ .. آهْ !

بَيْدَ أنَّ نوافذ تلك اللحودْ

لها رهبة الصمت بعد خُلُوِّ الوصيفْ!

فلم يبق في شمعة الليل من أملٍ

سوى دمعة واحدةْ !

تَرَقْرَقُ في مقلتيها

ولم تَهْوِ بعدُ

عساك تعودْ !

مكناس : الاثنين : ٢٣ فبراير ١٩٩٨.

المشاهدة الرابعة عشرة

رائحة الماء

إلى الشاعر المعلّم: الدكتور حسن الأمراني

(بينما رسائل النور قد فتحت طريقا واسعا إلى معرفة الله بتوجهها إلى الآفاق الكونية؛ حتى كأنها عصا موسى – عليه السلام – أينما ضربت فجرت الماء الزلال!)

المثنوي العربي النوري:٣٢

....

مواجيدُ هذا المساء لها عَبَقُ الماء بين النخيلْ

وللرمل أوردةٌ من هيامي

تسف شرودي غناءً شجيا

وتنفث سري جوىً بين همس الحصى وسكون الدجى

آهِ ليت السواقيَ أنكرن أمري

ليت طيفيَ لم يقترب من رؤاها

فمن ذا سواها إذن أهرق الروحَ من قدحي الخزفي ؟

فكان احتياري الجميل !

وكان الذي كان آه !

خَطَفَ الريحُ مني قميصي الوحيدَ وغربني في النوى!

فمن ذا قدير على وقف تلك الخيول الرواكضِ بين القرى؟

يُثِرْنَ بها النَّقْعَ موعدُهن دمي !

يهرب الليلُ مني فيفزع عربي وأعدو .. وأعدو ..

لعليَ أدرك بعض غدائرها

فأقيد جسمي بهذا السواد الجليل !

قال لي :

عبثا تجري أطيافُك يا ولدي !

فأميرة هذا الليل الهارب قد رسمت أدغالا فوق الرمل
المسكون (بإرْدِي)([12]) !

فاهتَزَّ عواصفَ – يا للهولِ! – تسوق زغاريدَ النخلِ
وحمحمةَ الخيلِ لتفتح أبوابَ البحر المسجون!

قال لي :

لَيْلُ الرباط وحيد
له عطش الملح في دفتيهِ
وجوعُ المحيط!

فيا حادي الجن مهلا ! .. فإني شممتُ عبيرَ الخميلْ
فقبل تخومِ الدخان قرى تعشق الصمتَ ماءً نميرا
فهـــذي خمائلها الآن تَقْطُرُ، تَقْطُرُ؛ حتى تشف القصائدُ
أرواحُها!

---

[12] إرْدِي: اسم لبطحاء رملية قاحلة، في مداخل مدينة أرفود، جنوب شرق المغرب.

فيرتدُّ رملُك / نهرُك سرا بصيرا
يَرَى في الظلام ولكنه لا يُرَى!

قال لي :

كان نسيما خفيا يهب رخاءً (بوَجْدَةَ)
أو ربما بين أحراش (تازَةَ) حين يعثر أوراقَه – فجأة–
في المحطات عشقُ قديم !
فيرتعش الغصن عند انخطاف الجناح إذا طار في الريحِ
يا ويلهم !..

ها يبيح القصيدُ عناقيدَه للطيور بكل القرى
ولكنه في الرباط تَزَبَّبَ عَرْضاً بكل الحوانيت ذات المرايا
ولا من يُحَيِّي عوانسَه البائرةْ!
ولا من يسوم دُماه وأصباغَه النافرةْ!

قال لي :

– يا ولدي .. وتَعَلَّمْ !

إنْ هـــي إلا أشـــباحٌ هربتْ منها الشمسُ فضلّتْ بابَ مغارهَا

فلا تفتنْكَ رسومُ الأسماءْ

....

كان النهرُ يعانق خلوتَه فردا

ويبث الليلَ الساجي قولَ الطير الناطقِ بالأسرارْ

فخلعتُ قميصي ثانيةً وغطستُ

تدفقتُ

فكان الشعرُ

وكان الماءْ ..!

مكناس : ١٩٩٨/٠٦/٢٢ م

صدر للشاعر

- ديوان القصائد، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء: ١٩٩٢م.
- الوعد، مطبعة أنفوبرانت، فاس: ١٩٩٧م.
- جــداول الــروح (بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح)، مطبعة سندي، مكناس: ١٩٩٧
- ديــوان الإشــارات، عــن منشورات الدفاع الثقافي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء: ١٩٩٩م.
- كشف المحجوب (رواية) مطبعة أنفوبرانت، فاس: ١٩٩٩م.

فهرس الديوان

انتهى بحمد الله .